بالقيادة الرسمية للمنظمة وبانصارها هي الثمن الذي قدرته السياسة البراغماتية للنظام السوري من اجل تجنب الخطر الاسرائيلي، وتكريس النفوذ السوري في لبنان، واضعاف القيادات الفلسطينية التي لا ترضى عنها دمشق.

على ان اكبر المفارقات المثيرة في تطور الصراع العربي، انما تظل من نصيب لبنان. وتبدو تلك المفارقة في التناقض الحاد بين الموقف «التقليدي» الذي قدره النظام الحاكم في لبنان منذ توقيع اتفاقيات الهدنة مع اسرائيل في آذار (مارس) ١٩٤٩، وبين الموقف الفعلي الذي آلت اليه علاقة لبنان بالكيان الصهيوني وبالصراع العربي ـ الاسرائيلي. فمنذ بداية الصراع، ظل النظام اللبناني، الذي يعكس مصالح قوى طائفية وطبقية محددة، يصر على تجنب انغماس لبنان فيه، معتمداً في درء الخطر الاسرائيلي على الضمانات الدولية، وليس على قوة لبنانية أو عربية. لذلك اهمل بناء جيش فعّال، بل نظر اليه كعنصر استفزاز لا داعي له في مواجهة قوة اسرائيل التي لا قبل للبنان بها. وقد نجح النظام اللبناني، بالفعل، في ظل تلك الصيغة، في عزل لبنان عن اطار الصراعات في المنطقة، وتأكد ذلك في حرب العام ١٩٥٦. وعندما أثيرت قضية تحويل نهر الأردن العام ١٩٦٤، وافقت دول مؤتمر القمة العربي على اقتراح لبنان بعدم دخول قوات عربية اليه. على ان هذه الصياغة للأمن اللبناني، في مواجهة اسرائيل، سرعان ما أخذت تتآكل تحت ضغط تطورات الحياة الاجتماعية والسياسية في لبنان، وتطور الوجود الفلسطيني فيه، بعد تفجر المقاومة المسلحة ضد اسرائيل. وانقلب الوضع رأساً على عقب، واصبح وجود لبنان ذاته وسلامته الاقليمية والعلاقة بين طوائفه وقواه الاجتماعية المختلفة مرتبطة، ارتباطاً وثيقاً، بتطورات الصراع مع اسرائيل، بما لا يقاس مع أي قطر عربي آخر. وفي حين كان السياسيون التقليديون يتحدثون عن ان «قوة لبنان في ضعفه»، فان قوة الضعف هذه لم تفلح، على الاطلاق، في حماية الكيان اللبناني من العواصف والانواء التي دهمته بكل عنف.

واذا كان من المعتاد اعتبار العام ١٩٦٥، (بدء المقاومة الفلسطينية المسلحة)، هو نقطة التحول التي بدأ عندها الانغماس اللبناني الكبير في المواجهة العربية ـ الصهيونية، فان هذا لا ينبغي، أبداً، ان يقلل من اثر نضج الاوضاع الاجتماعية داخل لبنان وسعي الطوائف التي شعرت بالاضطهاد السياسي والاقتصادي لتغيير بنية النظام ليلائم الاوضاع الجديدة. والواقع، ان التفاعل بين الصحوة الفلسطينية وبين تلك الاوضاع الجديدة الداخلية في لبنان، كان هو الذي حكم تطور الاوضاع في لبنان لما يزيد على عقدين من الزمان: بايقاع خافت ومحدود بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥، ثم بايقاع صاخب وشامل مع تفجر الحرب الاهلية في ١٩٧٥ حتى اليوم. ولقد كان الطبيعي ان يكون الجنوب اللبناني مع الضفة الغربية نقطتي الانطلاق الاساسيتين للعمليات الفدائية الفلسطينية. وبعد هزيمة ١٩٦٧، تصاعد العمل الفدائي وتصاعدت معه امكانات التصادم بين السلطة الرسمية اللبنانية، تدعمها الطوائف المسيحية المسيطرة أساساً، وبين المقاومة الفلسطينية تدعمها قوى الطوائف الاسلامية بشكل عام. ووجدت اسرائيل في ذلك المناخ فرصاً متوالية، ومتاحة دائماً، لمزيد من تعميق التناقضات بين الاطراف المتنازعة. وكان «اتفاق القاهرة» الذي عقد في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩، صيغة أفلحت، مؤقتاً، في تهدئة الصراع. من ناحية اخرى، اثرت المواجهة بين النظام الاردني والمقاومة الفلسطينية (١٩٧٠ ـ ١٩٧١) في الوضع في لبنان، بعد ان اصبح الجنوب اللبناني